

قصة اللغة العربية (71) - كيف أفسد المنطق اليوناني علم النحو

العربي

محمد صالح

السلام عليكم ورحمة الله نتحدث في هذه الحلقة عن ظاهرة في دراسة النحو العربي سببت كثيرا من الصعوبة والتعقيد لعلكم لاحظتم في الكتب القديمة انهم يتكلمون دائما عن شيء يسمى علة الاحكام الاعرابية - [00:00:03](#)

اي لماذا يكون المبتدأ مرفوعا؟ وما الذي رفعه؟ هل رفع بنفسه ام رفع لانه اول كلمة؟ ام ان الخبر الذي بعده هو الذي رفعه ولماذا يرفع الفعل مضارع وينصب ولكنه لا يجر - [00:00:23](#)

لعلكم لاحظتم ان الكتب القديمة تمتلئ بمثل هذه النقاشات المطولة. في البحث عن التعليقات بطريقة فلسفية ليس لها علاقة بالكلام العربي نفسه وهو موضوع الدراسة المبتدأ مثلا يظل مرفوعا مهما كانت نتيجة التفسير الذي يذهبون اليه - [00:00:41](#)

وما يهم فعلا ان تعرف ان هذه الكلمة مبتدأ وان ترفعها بالطريقة الصحيحة دخول المنطق اليوناني بهذه الطريقة عقد علم النحو وادخله في دوامات الفلسفة التي لا فائدة منها. وهذا ما - [00:01:02](#)

ساوضحه في هذه الحلقة ثم سابين بامثلة في الحلقات القادمة سوف اتحدث في اول الحلقة عن العقل اليوناني وكيف دخلت طريقة تفكيرهم الى بلاد المسلمين لفهم السياقات التاريخية التي جعلت النحو يتخذ هذه الصورة - [00:01:20](#)

ونتحدث قليلا عن اساليب العقل اليوناني في تناول العلوم والحياة بوجه عام. وعن فشله الذريع في تفسير ظواهر الحياة مع امثلة واذا كان العلماء المؤسسون كالخليل ابن احمد وسيباويه رحمهم الله قد استعملوا هذا الاسلوب. لماذا اعترض عليه الان - [00:01:40](#)

كذلك سنناقش كيف انتبه كثير من العلماء قديما وحديثا لهذه المشكلة التي سببها الكلام اليوناني في النحو العربي بعدما نفهم الفكرة سوف اعطيك امثلة محددة عن هذا التعقيد. وساجعل كل مثال في حلقة قصيرة منفصلة - [00:02:03](#)

تماما ما اقصد ستكون هذه الحلقة مقسمة الى اجزاء. يمكنك ان تذهب الى اي جزء او ان ترجع اليه في الوقت الذي تريده هذه الحلقة مهمة وتأسيسية. لانها تتعلق بالمبدأ الذي ننظر اليه لعلم النحو باكملة - [00:02:24](#)

لنحل هذه المشكلة في دراسة اللغة العربية اعرض عليك فيها طريقة تفكير والمبدأ الذي سنسير عليه عندما نبدأ في دروس اللغة العربية على القناة المبدأ دائما هو اهم شيء العلم كله يتحدد على حسب النظرة التي تنظر بها اليه - [00:02:46](#)

ولكن قبل ان ابدأ احب ان انوه الى تنبيه بسيط فهذا الامر قديم. واخذ به علماء كثيرون وكتب كثيرة لهذا يوجد كثير من المنشغلين بالنحو في زماننا هذا ممن يأخذ بهذه الطريقة ويعتبرها المنهج الصحيح ومقياس العلم - [00:03:07](#)

لأنهم نشأوا على هذا الفكر طبعاً كل الاحترام للاشخاص فكلهم اساتذة واخوة. ولكنني اعترض على الاسلوب كما اعترض عليه كثيرون اما الاشخاص فلم كل الاحترام ما هو علم الكلام او المنطق؟ ولماذا دخل الى العقلية العربية - [00:03:28](#)

هو طريقة تفكير نشأت في بلاد اليونان القديمة. على يد فلاسفتها وهو طريقة كلام يحاولون بها استعمال القواعد العقلية المحضة والتعريفات الكلامية للبحث في طبيعة الاشياء وفهم ما لنا وهو يبدو كلاما مرتبا وخادعا وله رونق. ولكنه يظل مجرد كلام - [00:03:55](#)

لانه يعتمد على قدرة الشخص على الجدل اكثر مما يستند الى حقائق ملموسة وبما ان التجارب العملية لاثبات صحة ما يقوله المتكلم لم تكن متاحة قديما فلا يمكن اثبات او نفي ما يدعيه - [00:04:19](#)

المتكلم فعلا وهو طريقة تفكير دخيلة على العرب العرب يحبون الاختصار والبلاغة في الكلام ولا يشغلون انفسهم بامور لا تنفع ولا تضر وليس مقدرا للبشر ان يعرفوا اسبابها اتى المنطق اليوناني مع عصور الترجمة منذ بداية العصر العباسي تقريبا - [00:04:36](#) ثم انتشر مع المعتزلة وهم جماعة اطلق عليهم هذا اللقب لانهم في البداية اعتزلوا مجلس الحسن البصري واستقلوا بتفكيرهم وتطور الامر معهم حتى اصبحوا يحاولون اثبات الالهيات والغيبات الاسلامية بالطريقة اليونانية - [00:04:59](#) مما اوقعهم في فوضى عارمة ولكن هذه الافكار هي التي انتشرت فعلا كالعدوى في المجتمع الاسلامي. واصبحت كالصيحة الحضارية الجديدة وتبناها خلفاء بني العباس ابتداء من المأمون ولعلكم تعرفون محنة الامام احمد عندما حاول المعتزلة اجباره على اقوالهم في العقيدة وعانى كثيرا بسبب هذا - [00:05:19](#) ورغم ان استعمال العقل والتفكير يبدو شيئا جذابا وهكذا يدافع عنه مؤيدوه فمن الجاهل الذي يعارض استعمال العقل والذكاء الا ان التفكير بالعقل البشري المحض بدون اعتماد على مرجعية ثابتة كالدين يؤدي الى فوضى عارمة - [00:05:45](#) اولاً لان ذكاء البشر يختلف كثيراً وما تظنه انت صواب لمجرد انه رأيك الذي تقوله قد لا يكون الصواب على الاطلاق ثانياً عقل الانسان يخضع لرغباته ولما يريد ان يقوله - [00:06:06](#) اغلب البشر يؤمنون بفكرة ما اولاً ثم يحاولون ان يبحثوا لها عن تبرير عقلي بعد ذلك ثالثاً لانه يخضع لخلق الانسان من الكبر احياناً والمنافسة والرغبة في الجوائز. وكل ما يحرك الانسان بوجهه - [00:06:23](#) لهذا فالكلمة الدقيقة التي تصف هذا الامر اكثر من العقل هي الرأي الشخصي وكل انسان في الحقيقة يقول رأيه الخاص الذي توصل له بحسب ظروفه وهذا ما يحدث فعلاً في الفلسفة. فلا يوجد اثنان يتفقان على تعريف شيء واحد - [00:06:42](#) ولو كانت هذه الطريقة صحيحة كما يقول اصحابها لاوصلتنا جميعاً بتفكيرنا الى نفس نقطة النهاية ولكن من المعروف ان الفلاسفة دائماً يختلفون ولا يصلون ابداً الى نتيجة واحدة اتكلم عن فلاسفة اليونان في امور الحياة بشكل يشبه الهذيان - [00:07:03](#) وشغلوا انفسهم بتفاصيل هي في الحقيقة لا تلزم الانسان ولا يجني منها الا الحيرة فاذا رأوا شيئاً من مخلوقات الله تساءلوا عن سبب كونه بهذا الشكل بالذات ولماذا لم يكن بشكل اخر - [00:07:24](#) وما الذي كان سيحدث لو خلق بشكل غير هذا وهل هو فعلاً بالشكل الذي نراه؟ ام ان هذه حواسنا التي تجعلنا نراها هكذا؟ الى اخر هذه الاسئلة الهذيان التي تسبب الحيرة ولا تقدم ولا تؤخر - [00:07:40](#) حسناً ما علاقة كل هذه المقدمة بالنحو العربي؟ قلت لكم ان هذه الطريقة اصبحت سمة ذلك العصر كانت موجودة في البلاد التي دخلها المسلمون ثم انتشرت في العالم الاسلامي الجديد - [00:07:58](#) بمن فيه من علماء واقوام ينحدرون من شعوب مختلفة وقد عاش الخليل وسيباويه وتم تدوينه النحو وحدثت كل النقاشات التي تكلمنا عنها بين البصرة والكوفة في هذا العصر بالذات عصر الاعتزال - [00:08:19](#) عندما تكلمنا عن النحو البصري ذكرنا انهم تأثروا بهذا الاسلوب وكتبوا به كتبهم فلم يكتفوا فقط بوصف لغة العرب كما كان من المفترض ان يحدث ولكنهم سعوا الى البحث عن علة وجودها بهذه الطريقة بالذات وليس باي طريقة اخرى - [00:08:36](#) وقدموا قواعد نظرية بحتة حاولوا ان يجعلوها تشمل اللغة العربية وتجادلوا كثيراً جداً حول العوامل. وهي الاسباب التي تسبب الحالات الاعرابية وعندما قام النحو الكوفي خالفهم في اشياء ولكنه ايضا احتوى على الجدالات الفلسفية - [00:08:55](#) على كل حال اصبح المنطق مترافقاً مع النحو واذا نظرت في كتاب الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لابي البركات الانباري. لرأيت الحجج الكلامية الكثيرة التي يحشدها كل فريق لتأييد فكرته - [00:09:16](#) ستجد في كتب النحو نقاشات عما يسمونه الاصل في المرفوعات هل هو المبتدأ ام الفاعل يناقشون ما الذي تحققت فيه صفة الرفع اكثر مع ان الرفع صفة معنوية لا تقاس كالطول او الوزن - [00:09:34](#) وتجادلوا في هذه الامور بطريقة فلسفية. وهي نقاشات لا تؤدي لاي فائدة عملية على الاطلاق ويوجد كثير جداً من مثل هذه الاسئلة التي تؤدي الى تعقيد العلم وملل الطالب هذه الطريقة في التفكير كما قلت هي طريقة غير عربية. فالعرب يرون ان الوصول الى

وهو تضييع وقت. المهم هو استعمال ما لدينا بطريقة صحيحة محاولة الغوص في اصل هذه الاشياء وطرح اسئلة كهذه بمجرد

التفكير وليس بناء على تجارب او دليل ملموس هو اسلوب اليوناني - 00:10:18

وبسبب هذا التخبط فقد ادخل اليونان انفسهم في امور لم يكن ممكنا لهم على الاطلاق ان يفسروها ولكنهم يدعون انهم فهموا الحياة بمجرد التخيل عقليا فقط بدون وسائل تجريبية لانهم لم يتح لهم اثبات اي قول. بل ان الامر يعتمد فقط على قدرة المرء على الجدل

- 00:10:36

وربما ليس من المقدر لنا كبشر ان نعرف فعلا اسباب كل شيء. لما الماء سائل ولما الهواء بلا رائحة؟ وهذه الامور ولكن علينا اجادة وصف مظاهر الحياة واجادة استعمالها وقد انتبه كثير من علماء اللغة في العصر الحديث الى هذه المشكلة وحاولوا تنقيح النحو مما

علق به - 00:10:59

وتحدث ابن مضاء الاندلسي عن هذا الامر كثيرا. وهو الرجل الذي سنقف معه في حلقات كثيرة ايضا الدكتور عباس حسن وهو الاستاذ السابق بكلية دار العلوم في جامعة القاهرة وكان رئيسا لقسم النحو والصرف والعروض في الكلية. وهو صاحب الكتاب

المعروف النحو الوافي - 00:11:23

قال الدكتور عباس حسن ان النحو شب على الرغم من شوائب خالطته يقصد بهذه الشوائب التعليقات الفلسفية واكد الدكتور بعد

قليل والحق ان النحو منذ نشأته دخلته شوائب. نمت على مر الليالي فشوهت جماله واضعفت - 00:11:47

وانتهت به الى ما نراه. قال هذا في كتاب النحو الوافي في الصفحة الرابعة وقال في موضع اخر فالعرب في الحقيقة لم تجعل للمثنى

الفا في النصب ليفرقوا بينه وبين الجمع. وكانوا يتكلمون - 00:12:07

تلقائية ولم يقصدوا ان يراعوا قاعدة ما. وانما هذا افتراض عقلي والنصب مثلا ليس تابعا للجر. بل هو حالة استعملت في مواضع

والجر حالة استعملت في غيرها. ولا داعي هذه التقسيمات انتهى كلامه - 00:12:24

ان البحث في مثل هذه الامور ارهق الباحثين في اللغة العربية واغرقهم في جدالات فلسفية لا طائل منها ولن تؤثر على في النص

العربي نفسه. فهي مجرد جدالات نظرية ثم في كتيبه الصغير والذي اسماه رأي في بعض الاصول اللغوية والنحوية - 00:12:45

تكلم بشكل اكثر وضوحا عن هذه المسألة قال في اول الكتاب ان طائفة من العلماء اتخذت الفلسفة شعارا لها وتعلقت بالاسباب

الكلامية وقضايا المنطق الجدلي واستخدمته في البحوث اللغوية وما يتفرع منها - 00:13:07

والتزمت في تأليفها ودراستها وسائل صلاتها العلمية ولاقت طريقته رواجاً وصادفت هوى في نفوس كثيرة. لانها الطريقة التي شاعت

منذ اواخر القرن الثاني الهجري. واول الثالـث ايام تدوين النحو يكمل الدكتور عباس حسن - 00:13:27

غير ان اهلها امعنوا فيها اي في الفلسفة وبالغوا حتى حكموا على كثير من الاحكام الصحيحة بالخطأ ونسوا من طول الملازمة

والامعان انهم واضعوها. اي هم الذين وضعوا القواعد الفلسفية. فالتوى الامر عليهم واختفت الحقيقة - 00:13:48

التي يبحثون عليها وراء الجدل الزائف وتوارى الواقع المدرك اي توارت نصوص اللغة العربية وراء العلل المتخيلة. واستحالت الوسيلة

غاية اي ان البحث في العلل اصبح غاية في حد ذاته بدل ان يكون مجرد وسيلة لادراك اللغة العربية - 00:14:06

ويمكنك قراءة هذه الرسالة للدكتور عباس حسن فهي مهمة جدا في هذا الشأن واريد ان اشير فعلا ان هذا ما حدث فاجزاء كثيرة من

هذه الكتب الضخمة في النحو هي في الحقيقة تناقض مواضع ليس لها اي علاقة باللغة المحكية - 00:14:28

كما ذكرت مثلا يتنازعون في ايها اقوى تحقيقا لعلامة الرفع. هل هو المبتدأ ام الفاعل وقد رأيت وسمعت وقرأت صورا من هذا التعقيد

في المحاضرات على يوتيوب وفي الكتب. فمثلا عندما يتكلم احدهم في شرح اول - 00:14:48

سطر من الاجومية او في شرح بيت واحد من الشعر لمدة ساعات فان هذا ليس فيوضا من العلم كما يحب ان يسميه البعض. ولكنه

تطويل في الشرح في شرح المصطلحات وتفلسف وتقعّر وترديد للاقوال المنطقية او مجرد تعديل لاراء مختلفة في نفس الموضوع -

او ببساطة يخرج عن الموضوع لمواضيع اخرى ولنفس هذا السبب يزداد حجم كثير من الكتب النحوية والحواشي لانها مملوءة بمثل هذا الكلام وبالرغم من عدم فائدة هذه الامور الا ان البعض يعتبر انها فعلا هي العلم الحقيقي - [00:15:28](#)

ويسوغ لذلك ان هذه هي طريقة فهم القواعد مع انها ليست كذلك على الاطلاق هذه المباحث موجودة بكثرة في كتاب سيبويه. وهو الكتاب الذي وجه بشكل او اخر دراسة النحو في العصور التي تلت - [00:15:49](#)

فاكتسب العلم كله الا ما ندر هذه الصبغة المنطقية اليونانية امثلة من عيوب منهج اليونان نفسه وعلمهم الفاسد من الامور المهمة التي تذكر ان الفكر اليوناني الذي اتى بهذه الطريقة قد فشل فشلا ذريعا في تفسير ظواهر الكون - [00:16:06](#)

واتضح لنا هذا بجلاء في العصر الحديث عندما قام الانسان بالتجارب العملية فالكون ليس مكونا من العناصر الاربعة التي ظن ارسطو بلا اي دليل ودفع العالم دفعا لاعتقاد هذا لمدة الفي سنة - [00:16:33](#)

وجنس المولود لا يتحدد كما خمن جالي نوس اطلاقا. مع ان جالي نوس يذكر بتوقير عظيم ولكن فقط ابحثوا على جوجل لتعرفوا كيف كان جالي نوس يظن كيفية تحديد جنس المولود - [00:16:50](#)

السبب كما قلت واعيد لكي اؤكد ان الفكر اليوناني قام على الافتراضات وبدون اي تجريب عملي ظانين ان الامور تحسم فقط بمجرد الافكار غير الملموسة التي يصلون اليها بتفكيرهم الخاص - [00:17:07](#)

ولا ننسى ان فكر الانسان يخضع لرغباته ولعناذره ولما يتصور انه الصحيح واهم نقطة اؤكد عليها ان اللغة والنحو العربي والقواعد العربية نفسها ليست متأثرة بالمنطق النحو العربي هو شجرة عربية نشأت في ارض عربية - [00:17:24](#)

ولكن التعديل المنطقي او محاولة ايجاد الاسباب لها هو المتأثر بالمنطق. وهو ما ينبغي حذفه من النحو الكلمة التي تكون في موقع الفاعل مرفوعة. لان هذه هي طريقة كلام العرب. وهذا هو النحو - [00:17:47](#)

اما لماذا الفاعل مرفوع وليس منصوب؟ ولماذا كان الفاعل المفرد يرفع بالضمة وليس بالفتحة او الواو فهذه هي الفلسفة اذا كنت اعترض على المنطق والفلسفة فهل نحن اذكى من الخليل وسيباويه وعلماء المسلمين الذين استعملوه قديما - [00:18:04](#)

الجواب لا على الاطلاق. ولكنهم كانوا اولاد عصرهم. كانت هذه طريقة التفكير الشائعة نحن الان نمتلك شيئا لم يكونوا يمتلكونه وهو اننا نعيش في هذا العصر عصر التجربة العلمية هذا العصر الذي اثبت ان النظريات اليونانية والعقل اليوناني هو محض هراء - [00:18:28](#)

فلا وجود لعناصر اربعة تكون كل شيء وجنس المولود لا يتحدد كما قالوا. وقس كل شيء على هذا لا تحل المسائل بمجرد التخيل نفس عقلية تماما هي التي اثرت على المسلمين في عقيدتهم فاننشأت طائفة المعتزلة وعلى اللغة فادخلت في دراستها - [00:18:52](#)

امورا كثيرة معقدة وهذه الطريقة تفسد اي شيء لانها مجرد كلام اللغة العربية لا تنطبق عليها تعريفات اليونان ولا تفكيرهم. وليست وظيفتنا ايجاد اسباب متخيلة لكل كلمة ولكل حرف نطقه بل وظيفتنا ان نحسن التكلم باللغة - [00:19:14](#)

وقد قال الخليل رحمه الله شيئا بهذا المعنى فمن وجد طريقة افضل فليقلها. لم يقدم نفسه انه قد اتى بالحقيقة المطلقة اذا مرة اخرى هل نحن اذكى من الخليل؟ بالطبع لا. كل ما في الامر اننا نمتلك وسائل لم يكن يمتلكها العلماء. اتت - [00:19:37](#)

نتيجة معيشتنا في هذا العصر المتقدم كما ان خبرة الجنس البشري تزداد بالتراكم عبر الزمن وبعد الف وخمسمائة سنة نستطيع ان ننظر الى الوراء ونرى الفوضى التي خلفها استعمال هذه الطريقة. بينما لم يكن هذا ممكنا - [00:19:59](#)

لعلمائنا في العصور الاولى. لانهم كانوا يجربون هذه الطرق لاول مرة وقد فهم عدد من العلماء قديما ان المنطق اليوناني والتفلسف لا يقدم ولا يؤخر. وذكروا انه بلا فائدة قال عنه ابن تيمية رحمه الله ان المنطق اليوناني لا يحتاج اليه الذكي ولا ينتفع به البليد - [00:20:17](#)

وهي فعلا كلمة تصفه بشدة والان نتأكد اكثر من اي وقت مضى انهم كانوا على حق انا اعلم ان كثيرا من المشاهدين لن يعجبهم هذا الكلام. او سيستعجبون. لان هذا الخلاف قديم ومتجذر. ولكن - [00:20:43](#)

قبل ان تعلق معترضا سوف اصور بعض الامثلة التطبيقية على افساد هذه الطريقة للنحو العربي. والجدل الزائف الذي ليس له اي

فائدة على الاطلاق واتمنى ان تساعدني في ايضاح هذه الفكرة - 00:21:02

شكرا لكم على مشاهدة هذه الحلقة. لا تنسى ان تضع علامة الاعجاب وان تشترك على قناة مدرسة الشعر العربي السلام عليكم ورحمة

الله وبركاته - 00:21:19